

الثورة الناعمة مكّنت المرأة الكويتية من الحصول على حقوقها السياسية والاجتماعية والمهنية ونجحت في فرض التغيير



مشاركة فاعلة للمرأة في الانتخابات الأخيرة

بين السنة والشبيعة، والصراع الفكري والأيدولوجي الذي تلعب فيه النسوية دورا كبيرا. وأخيرا، فإن الدروس المستفادة من دراسة التجربة الكويتية تفيد في إعطاء بعض التوجيهات للجهود الجارية في مجال التحول الديمقراطي (دمقرطة) للدول الإسلامية، والتي تظهر أن التقليد الاستعجالي التعميمي للديمقراطية الغربية يمكن أن يسبب الشقاق وأن يأتي بنتائج عكسية، لأنه يؤدي إلى تجاهل الحساسيات الثقافية المحلية. لقد كانت حرب الخليج نقطة تحول في تاريخ التححرر في الكويت، ولكن الدول الأخرى يمكن أن تتعلم من التجربة الكويتية وتفهم أن المرأة حين تكون ذات مكانة قوية ومتعلمة فإنها لا تمثل تهديدا، بل تعتبر فاعلة ضد صعود قوة الأصولية الإسلامية. في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001، فمعظم الكويتيين أن يكونوا في هذا المجال، بمثابة حاملي الراية وواضعي المعايير، وأن يعملوا على انجاز التغيير الذي يسير ببطيء في أقطارها في تحسين الصورة غير الدقيقة عن الإسلام، والتي تستند إلى التقارير عن «أسلوب طالبان» في اضطهاد النساء.

التعليم الشامل

ينظر للكويت، بشكل عام، على اعتبارها واحدة من أكثر الدول ليبرالية بين دول مجلس التعاون الخليجي. وهي قد أظهرت تحسنا متصاعدا في مجال حقوق المرأة منذ الاستقلال. وفي جميع أنحاء هذه المنطقة، تؤثر المرأة بصورة متزايدة على البنية الاجتماعية والاقتصادية. وتستفيد دول مجلس التعاون الخليجي من احتمال وجود جيل كامل من النساء الأذكياء صاحبات التعليم الجيد. حيث بدأت هذه التجربة الاجتماعية مع بداية التعليم الشامل القائم على الفعالية. فحلول عام 2000، تحققت في الكويت نسبة مرتفعة جدا من النساء في سلك التعليم العالي، وذلك بنسبة 32٪. حيث جاء مركز الكويت الثامن وراء قطر وحدها، التي وصلت نسبتين فيها إلى 36٪. وتلحق البحرين في 28٪، والسعودية، بنسبة 25٪. وذلك بالمقارنة مع أرقام عام 1980، التي كانت بنسبة 15٪، 17٪، 5٪، و5٪. على التوالي، وهذا هو التغيير الكبير الذي حققته الكويت، في 20 سنة فقط، بين عامي 1980 و2003، كما زادت نسبة النساء في القوى العاملة، من 13٪ إلى 29٪ في الكويت، ومن 7.6٪ إلى 20.2٪ في السعودية، ومن 11.0٪ إلى 22.9٪ في البحرين، ومن 6.4٪ لتصل إلى 17.9٪ في قطر. وتبين هذه الأرقام أنه في حين أن عدد النساء اللواتي يدخلن القوى العاملة تبقى منخفضة بالمقارنة مع عدد من يدخلون التعليم العالي، فإن هذا الرقم مازال يواصل ارتفاعه. وقد أبلت الكويت بلاء جيدا في هذا المجال، سواء مقارنة بدول مجلس التعاون الخليجي الأخرى، أو مقارنة بالمنطقة ككل، حيث حققت أحد أكبر الزيادات الإيجابية في مجال تعليم المرأة في العالم.

الإسلاميين في انتخابات عام 1996، حصدت الحركة النسائية زخما متواصلا ودعاية متزايدة، وذلك لأن الحكام أصبحوا في الصفوف الخلفية. وبدأت النساء بشكل فردي في بناء حياتهن الوظيفية والمهنية، بدافع من المظالم المعروفة والمشهورة. وتصدرت السيدات من أمثال د.رشدا الصباح، وهيا راشد المغني، والبروفيسورة فايزة الخرافي، والبروفيسورة بدرية العوضي والأستاذة بيبى المرزوق طليعة هذه الثورة «الناعمة». وسوف تبنى المقابلات التي أجريت مع هؤلاء السيدات بشكل ملحوظ في الأشرطة الحالية، كيف أنهن تمكن من نقل النقاش إلى أرضية من اختيارهم. وأظهرت هؤلاء النساء عزمًا قويًا بأن المرأة المتعلمة تفيد الدولة فائدة عظيمة، من خلال رفع الكفاءة العالمية للدولة وثبات أن الزيادة في عدد النساء في القوة العاملة هو مسألة مفيدة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. وعلى الرغم من المحاولات المتكررة في المماثلة، فإن الدعوات التي صاغتها وسائل الإعلام الوطنية عملت على تعزيز قضية التححرر بكل قوة. بالطبع، لم تقتصر القيادة على هذه الأسماء المذكورة للسيدات الأخرى وجاهة وشهرة في المجتمع. بل شاركت المرأة من جميع مستويات المجتمع الكويتي في فرض التغيير. وكما بدأ العالم يلاحظ، بدأت فئة من السياسيين الإناث، صاحبات الوعي السياسي في ممارسة الضغط السياسي، وذلك باستخدام وسائل الإعلام في توجيه النقد لمجلس الأمة. وبعد إعلان الأمير في عام 1999، أن حرمان المرأة من حق التصويت هو مسألة غير دستورية، أصبحت عملية التححرر مكتملة تقريبا. فبعد عدة محاولات فاشلة، حصلت المرأة على حق التصويت في الانتخابات، وشهد عام 2005 أول امرأة بين النواب المنتخبين لعضوية مجلس الأمة. كانت معركة طويلة وممتدة، ولكن في عام 1990 قدمت حرب الخليج الزخم المطلوب لهذه العملية لتصل إلى نقطة الإنجاز. كما قدمت الفرصة للكويت لكي تقوم بعملية الانتقال.

التقاليد الإسلامية

للأطروحة الحالية تداعيات أوسع نطاقا في مجال حقوق المرأة في دول الخليج الأخرى، وكذلك في دول العالم الإسلامي، في العديد من البلدان الإسلامية، حيث يمثل الميزان المقام بين التقاليد الإسلامية وبين حقوق الإنسان غالبا نحو الانحراف، وبذلك يحل النظام الأبوي البطريركي محل المساواة بين الجنسين التي جاء بها القرآن الكريم. وتقدم دراسة حالة الكويت، كدولة مسلمة ذات تطلع تقدمي، نموذج دراسة حالة ممتاز لعملية التحول الديمقراطي (الدمقرطة) في المنطقة. فدراسة تطورها التاريخي يسمح لغيرها من الحكومات والجماعات النسائية بتجنب أخطاء الماضي، وتجنب سوء الفهم والانقسامات التي نجمت عن المعركة بين «النسويات» وبين ذوي التوجهات التقليدية. فالدروس المستفادة من هذه التجربة يمكن أن تعد بمثابة دليل عملي لتفادي بعض الأمور الرئيسية في الخلاف

الكويتيون بإجراء تقييم للأضرار التي أصابتهم في محاولة للتعاافي من الندوب العميقة التي تسربت إلى حالتهم النفسية، أصبحت قضية حقوق المرأة في الصحافة، تغذيها الضغوط من وسائل الإعلام الدولية، التي انخرطت في الضجة المتسارة من أجل التححرر، وإذ حاولت الحكومة تحقيق قدر من التوازن بين فكرة حقوق المرأة والضغط الممارس من جانب الجماعات الإسلامية التقليدية، فقد تم استخدام الأساليب القديمة في الإلهاء والتعتيم، فبادرت مجموعات من النساء المدعومين من الحكومة إلى محاولة إقناع الغالبية من النساء الكويتيات بأنهن لسن في حاجة لحق التصويت، وأنهن يجب عليهن تقبل الأدوار المحددة لهن بموجب الشريعة الإسلامية والكتاب الكريم. وقد بدأ أن هذا التكتيك، في ظاهر الأمر، قد أدى لهن بموجبه حركة الطالبين بالتححرر، ولكن كانت الرغبة في التححرر مازالت كامنة بعمق لدى النساء، فيأدرن إلى تحويل جهودهن في اتجاه مختلف، فقد كانت الضغوط التي تمارس من قبل شريحة من النساء يتمتعن ببراعة العقل والسذكاء والتعليم الجيد لا بد لها في نهاية المطاف من أن تعثر على مخرج صائب، فقد فاز الإسلاميون التقليديون في البدايات الأولى من الصراع، ورفض الأمير الدعوات لتضمين حق التصويت للنساء في الإصلاحات التي أجريت بعد انتخابات عام 1992، وهو ما عد عزوفا عن المسار الذي تبنته حركة حقوق المرأة، لكن شيعه النصف الأخير من عقد التسعينيات تحولا في موقف التقليديين الذين أصبحوا في موقف الدفاع، وذلك عقب تكثيف الكفاح من قبل المرأة الكويتية الحديثة، التي كانت قد تغيرت بفعل جرة تجارب الحرب، حيث وصلت هذه الجهود إلى ذروتها عام 1999 بموجب المرسوم الأميري، فهذا المرسوم حول مسألة حقوق المرأة، على الرغم من سبق حظرها من قبل مجلس الأمة، جعلها مسألة تدور حول متى، ولا تدور حول هل.

نمار التعليم

عندما شعرت النساء بخيبة أمل في أعقاب حرمانهن من حقوقهن، بدأن في توظيف نمار تعليمهن، ثم ببطء ولكن بلا هوادة، بدأن في التدرج بمناصب السلطة، وبذلك شهدت مناصب الأكاديميين والأعمال والطب زيادة في أعداد النساء فيها خلال عقد التسعينيات، بما في ذلك منصب رئاسة جامعة الكويت ومنصب نائب رئيس مؤسسة البترول الكويتية، والأهم من ذلك، أنهن شرعن في العمل كناشطات سياسيات محترفات. وفي عام 1997، قادت عديلة السائير، رئيسة الجمعية النسائية الثقافية والاجتماعية WCSS، والشبيخة النصف، المنتدى الوطني الديمقراطي (NDF)، وهي مجموعة ضغط سياسي، كما بدأت المرأة الذكية والمتعلمة والمهنية، من أمثال: د.رشدا الصباح ود.رولا دشتي، والسفيرة نبيلة الملا في ممارسة حقهن في التعبير، استنادا إلى حق حرية التعبير المكفول دستوريا في الكويت، وبعد انتصار

إمارة، تحكمتها أسرة آل الصباح، لكن الوطنيين العراقيين اعتقدوا اعتقادا راسخا بأن الكويت تمثل بحق المحافظة رقم 19 من المحافظات التي يضمها العراق، وهذه الفكرة كانت حاضرة عندما استولى العراق على الكويت، وحين أصر على إزالة كل ما يشير إلى استقلال الكويت، فقد أزيلت هذه الإشارات بدءا من الأعلام حتى لوحات تسجيل السيارات، وفي هجوم مباغت، تدفق الجيش العراقي عبر الحدود وغزا الكويت. في 2 أغسطس عام 1990، واجهت القوات العراقية مقاومة بسيطة، وتقدمت بسرعة نحو مدينة الكويت العاصمة، ولم يقم الجيش الكويتي المحمود سوى مقاومة بسيطة، وسرعان ما أصبحت الدولة تحت الحكم العسكري العراقي، وفي محامد للبحث عن شرعية، أقام العراقيين نظام حكم هو بمثابة دمية، وذلك بعد أن لجأ الأمير الحاكم وعائلته إلى المملكة العربية السعودية، إلا أنه فات العراقيين قوة الحماسة الوطنية لسدي الكويتيين، والتي تجلت في شكل حملة مقاومة شديدة الباس ومصممة على المقاومة، فقد توقع المفجور صدام حسين ألا يواجه سوى دولة تزعزعت على الكسول والتعثر في الغزوات النفطية، مع أقل القليل من الاستعداد للمقاومة، فإذ ألقى العنان لسلسلة من الأحداث السياسية التي كان من شأنها أن أدت إلى إزاحته عن السلطة، ثم في نهاية المطاف إلى عهد الأمير، لكن شهد النصف من عقد من الزمان.

المقاومة الكويتية

استخدمت المقاومة الكويتية تكتيكات حرب العصابات وتعطيل الخدمات اللوجستية العراقية، وبكل شجاعة، وتحت مخاطر جسيمة على حياتهم، قامت المقاومة بإجفاء الرعايا الغربيين، وحميتهم من أن يصبحوا رهائن للنظام العراقي، كما سعت الحكومة الكويتية في المنفى إلى الحصول على إجماع دولي لتحرير المرأة في مرحلة استخدمت خصص الشجاعة التي أبدتها المقاومة الكويتية الشرسة كأدوات للدعاية. والنقطة المهمة، فيما يتعلق بهذا البحث، أن المرأة الكويتية عززت حركة المقاومة بكاملها، وقامت بتنظيم حملات مقاومة للسوات العراقية على الرغم من الخطر الحقيقي الذي كان يهددهن بالأغصاب والتعذيب والتصفية الجسدية، وأنجزت هذه القوة الأنثوية المقاومة المستعرة تحولا جزئيا في المواقف بعد أن كان الصراع قد وصل إلى أوجه، فمن وجهة نظر الكويتيين، كانت المرأة البطل الحقيقي في هذه الحرب، فكانت الشجاعة التي أبدتها النساء السبب في تغيير مواقف الرجال الكويتيين تجاه زوجاتهم وبناتهم، وهناك كثير من الشهادات والروايات والتقارير الصحفية التي تؤيد هذا الرأي، والتي توضح أسباب تجدد الدعوات لتحرير المرأة في مرحلة ما بعد الحرب في الكويت.

الندوب العميقة

وفي أعقاب الحرب، وحين بدأ

رشنا الصباح وهيا المغني وفايزة الخرافي وبيبي المرزوق تصدن طليعة السيدات في بناء الحياة المهنية للمرأة الكويتية

قامت المرأة الكويتية بتنظيم حملات مقاومة القوات العراقية رغم الكثير من الأخطار

حرب الخليج مثلت نقطة تحول في التاريخ لمنطقة الخليج والعالم ككل

حرب الخليج مثلت نقطة تحول في التاريخ لمنطقة الخليج والعالم ككل

حرب الخليج مثلت نقطة تحول في التاريخ لمنطقة الخليج والعالم ككل

ان البحث في عملية التنمية التي جرت في الكويت من ثقافة قبلية إلى امارة غنية بالنقط تقدم نموذجا ممتازا لدراسة حالة فريدة التي وفرت ارضا خصبة لنمو عملية تحول ديموقراطي محدودة وأن كانت تتم داخل حدود اطار من الاوتوقراطية وهي عملية تجد انعكاسات لها في مرآة العديد من دول مجلس التعاون الخليجي. ان التاريخ الذي يقدمه كيسي عن الكويت والدراسات التي يكتبها مايكل هيرب تقدم سريدا ممتازا عن نشأة هذه الدولة الجديدة وعن عملية حصولها على الاستقلال الكامل عام 1961 وعن اكتشاف النفط وهما يشيران الى ان هذا التاريخ الفريد ادى في نهاية المطاف بسياسات الدولة الى التفكير بشكل تقدمي نحو الحريات وحقوق الانسان وتعليم المرأة. كذلك تقدم هيا المغني تقييما لتاريخ الكويت من وجهة نظر المرأة، مشيرة الى صعود وسقوط الحركة النسوية الناشئة منذ عام 1960 حتى عام 1980. ان حدوث عملية الاستقلال والتنمية في وقت مبكر من تاريخ الكويت وفي ظل زمن من الاضطرابات التي طالت العالم الاسلامي والتي بلغت ذروتها في احداث الصراع بين ايران والعراق عام 1980 بين كسيف كان هذا السعي من أجل التححرر متورطا في هذه الومامة السياسية وكيف انه اصبح جزءا من المعركة الايديولوجية بين العلمانية والقومية العربية والاسلام التقليدي وقد بلغت هذه العملية ذروتها في عهد أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد حيث تم حل البرلمان في العام 1986 وجاءت فترة من الركود السياسي، حيث عمد الحكام ونواب مجلس الأمة بشكل حثيث الى ايجاد سبل لتعطيل عملية التححرر وضرب المجموعات السياسية بعضها ببعض في اطار عملية تقوم على سياسة «فرق تسد» الا ان هذا الوضع قد تحطم بكل عنف جراء احداث التوتر بين الكويت وجارتها التي وجدت الفرصة سانحة في هذه اللحظة من التاريخ وافترضت ان الغرب سيعتمد سياسة «دعه يعمل» او عدم التدخل فتجسرا العراق على غزو جارتها.

نقطة التحول

مثلت حرب الخليج عام 1990 نقطة تحول في التاريخ، ليس لمنطقة الخليج وحدها، بل كذلك بالنسبة للعالم ككل أيضا، وكان هذا التوجه (الاحتلال) من جانب العراق، أول حالة تشهدهما الأمة العربية لدولة عربية تبادر إلى غزو دولة عربية أخرى، وهو ما مثل تنويعا لتاريخ طويل ومحفوظ بالتوتر بين إمارة الكويت الصغيرة وجارتها الأكبر، وينبع هذا الصراع جزئيا من الأيديولوجية القومية، ولكن لا شك أن الثروة وعائدات النفط الموجودة في الدولة الصغيرة مثلت عاملا رئيسيا وراء هذا التوتر، وترجع جذور هذا التوتر إلى العهد الذي كان فيه البريطانيون يقومون بتقسيم الشرق الأوسط وإقامة دول، بغض النظر عن الاختلافات العرقية والثقافية والقبلية، فقد أصبحت الكويت، والتي كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية القديمة،

د.مشعل عبدالله الجابر حصل عليها من إحدى أعرق الجامعات البريطانية قيمة علمية كبيرة لشهادة الدكتوراه من جامعة كنجز كوليج اللندنية



الحلقة 2

بدأ الشيخ د.مشعل عبدالله الجابر الصباح العمل على أطروحته منذ بدأ الدراسة في جامعة هارفارد، أشهر الجامعات في الولايات المتحدة الأميركية، واستمر بالعمل على تطويرها طوال فترة دراسته لما تشكل لديه من اهتمام خاص، حتى أتمها واكتملت كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة كنجز كوليج إحدى أعرق الجامعات البريطانية، وأشهرها على الإطلاق باهتمامها بالشرق الأوسط بشكل عام، وقضايا المرأة في الشرق الأوسط بشكل خاص، ما جعل المهمة مضاعفة على الباحث الذي استعان بالمصادر والمراجع من الكويت، وأنجز العمل الميداني للأطروحة بكفاءة من خلال نماذج متعددة من المرأة القيادية في مختلف القطاعات.

يذكر ان اطروحة الشيخ د.مشعل الصباح ستتم طباعتها في كتاب باللغة الانجليزية وسيتم نشرها في دور النشر الأميركية والبريطانية وعدة دول أوروبية لما لها من أهمية وبما تتضمنه من قيمة علمية وتسد فراغا كبيرا في المكتبات الأجنبية حول هذا الجانب من الحياة السياسية والفكرية.